أثر البيئة في غرض المديح في كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للمؤلف عماد الدين الأصبهاني (تـ ٥٩٧هـ)

م. م. محمود محمد علاوي جواد
جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
Mhmwdalrawy491@gmail.com
أ.م .د سجا جاسم محمد
جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
Saja77@coat.uobaghdad.edu.iq

تــاريخ النشر : ٢٠٢٣/١٢/٣١
تاريخ الاستلام : ٢٠٢٣/٨/٢٠ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٠/١٨
DOI: 10.54721/jrashc.20.4.1075

الملخص :
تُعَدَّ البيئة العامل الأساسي في إنتاج الشعر ، ويقال إنّ الشاعر ابن البيئة ، فالبيئة هي التي تخلق الأثر الواضح من الشعراء ، وإن أسلوبِ الشعراء وأختيارهم الألفاظ البسيطة والسهلة التي لا تحتاج الى معجم اللغوي بل تلائم القارئ ، وإن العصر العباسي هو عصر تلاقح الثقافات، فالمعنى عندهم يؤدي الغرض الذي اراده الشاعر دون جهد ، فأثر البيئة في غرض المديح وأضح بالألفاظ التي يمدحون بها الخلفاء والأمراء والوزراء ، وإن الشعراء مدحوا اصحاب الحرف التي شكلت معالم بارزه في عصرهم ، قد شكل غرض المديح في كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) نسبة كبيرة في مجمل الشعر العربي الذي قيل عبر العصور التي عاشها في ظل الحكم العربي من حكام العباسيين ، وجاءت قصائدهم على شكل قصائد طوال ، ومقطوعات مزجت مع أغراض أخرى مثل النسيب والحرب ولم يكتف هنا بل نجد في شعرهم مدح آل البيت والصحابة بذكر الصفات والمناقب الجميلة ، وظهر بفعل البيئة العباسية التي أثرت في الشاعر ، بحيث جعل هذا الأمر له اهمية بحيث كتبوا قصائد بمدح المدن وما يحيطها من البساتين والبناء العالي الشاهق وغيرهم .

الكلمات المفتاحية : البيئة ، المعنى ، المديح

The impact of the environment in the purpose of praise in the book (khreidat Al-Qasr and jaridat Al-Asr) by the author Emad al-Din al-asbhani (d. 597 Ah)

Assistant teacher. Mahmoud Mohamed Allawi Jawad
University of Baghdad / Faculty of Arts
Asst.prof.Dr. Saja Jassim Mohammed
Faculty of Arts/university of Baghdad

Abstract:

The environment plays a fundamental role in the production of poetry. It is often said that poets are the products of their environment. The environment has a clear impact on poets in terms of their style and their choice of simple and reader-friendly words, which do not require linguistic dictionaries but suit the readers. The Abbasid era was a period of cultural cross-pollination, where the meaning conveyed the poet's intention effortlessly. The influence of the environment in praising and lauding the caliphs, princes, and ministers is evident through the words used. Poets praised individuals who were prominent figures in their time. The purpose of praise, which was a significant portion of Arabic poetry over the ages during the reign of the Abbasids, was epitomized in works such as "Khuraydat al-Qasr" and "Jaridat al-Asr." Their poems took various forms, including long poems and verses integrated with other themes such as lineage and war. Additionally, their poetry extended to praising the Prophet's family and companions by highlighting their beautiful qualities and virtues. The Abbasid environment significantly influenced the poets, to the extent that they wrote poems praising cities, their surrounding orchards, towering buildings, and more.

Key words : the environment ,meaning ,praise.

المقدمة:

إن الأغراض الشعرية في الشعر العربي كثيرة ، بعضها ما يتناول النفس الإنسانية وبعضها الأخر يتناول ما حولها ، لذلك أتجه الشعراء في وصف الأخر سواء أكان ذلك مدحاً أو ذماً ، ويُعدّ المدح من الأغراض الشعرية التي وجدت بكثرة في الشعر العربي ، فلا يمكن أن يخلوا ، أي ديوان شعري منه والغرض من المدح تعداد مزايا الممدوح ، ويحاول الشاعر أن يرفع من شأن الممدوح ، لينال عطايا الممدوح .

وقد جاء البحث موسوماً بـ (**أثر البيئة في غرض المديح في كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر)** ، إذ قسمت البحث على تمهيد بـ : مفهوم البيئة لغة واصطلاحاً ، ومفهوم المعنى لغة واصطلاحاً ، وترجمة بالمؤلف عماد الدين الاصبهاني ، والتعريف بالمديح واختيار نماذج من مدح الحكام ومدح النبوي ومدح آل البيت (عليهم السلام) ومدح أصحاب الصنعة من الخطيب والقلم وغيره ، ومدح البناء الشاهق ومدح الحيوانات الاليفة وغيرها .

مفهوم البيئة :

البيئة لغة :

إنّ المتتبع للفظة البيئة من جانبها اللغوي في شتى المعاجم اللغوية يجدها تدور حول فلك واحد ، وهو المنزل أو المكان ، وجميعهما تحيل إلى البيئة مكاناً ومستقراً.[١]وجاء في لسان العرب : " بوّأ: باء إلى الشي يبوء بوءاً : اي رجع ويؤتُ الية وأباته ، .... وأباتُ القوم منزلاً ، والتبوُّء ، أن يعلم الرجلُ الرجلَ على المكان إذا اعجبه لينزله ، وقيل تبوأه أصلحه وهيأه ، وقيل : تبوأ فلان منزلاً: إذا نظر الى أسهل ما يرى وأشده استواء وأمكنهُ لِمبيته فأتخذه ، وتبوأ : نزل وأقام ، اي المكان " [٢]

أصطلاحاً : إن دراسة الظّواهر الأدبية والإبداعية سواء كانت شعرية أم نثرية تقتضي بالضرورة تعميق الرؤى وملامسة جوانب مختلفة من بنية النتاج الأدبي الداخلية والخارجية : " ويقال بيئة طبيعية ،وبيئة اجتماعية ، وبيئة سياسية "[٣] فالبيئة لها أثرها البارز وتأثيرها من ناحية المكان والأشخاص ، فقد عرفها بعضهم بأنها : "مجموعة العوامل والظروف الطبيعية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، حتى الجمالية التي تحيط وتؤثر في رغبة الملكية وقيمتها ، وتؤثر في حياة الناس " [٤] وكانت للبيئة العباسية الجديدة والمتطورة ، أثر فاعل في إبداعِ الشعراء ، فإذا أحدثت مظاهر

التجديد في إنتاج معاني حضرية التي وجب على الشاعر أن يضعها في اشعارهِ " الشاعر يقع تحت مطرقة المجتمع المتغير المتطور الصاخب المتحرك الجياش الخاضع الانعطاف الحضارة المستجيب لسمات الثقافة النازع للرغبة في الانطلاق في منطلق المعاني التي ترضي ، والأساليب التي تعجب والصور التي تفتن " [٥] وإن مظاهر الحضارة والترف الاجتماعي له الأثر البالغ في تلوين الشعر العباسي ومعانيه وإعطاء لون جديد ينسجم مع تطلعات الشاعر الإبداعية وأنعكاس البيئة الجديدة [٦]

مفهوم المعنى

المعنى لغةً :

دلالة لفظة (المعنى) لغوياً التي أوردتْها المعجمات العربية ، إذ جاء في كتاب العين " ومَعْنَى كُلّ شيء : محْنَتُه وحالُه الذي يصير إليه أمره " [٧] وكرر ذلك القول ابن منظور في لسان العرب [٨] وهنا إشارة للتحول والانتقال الذي يحدثه الكلام . وجاء في الصحاح :" وعنيتُ بالقول كذا ، أي أردتُ وقصدت ، ومعنى الكلام ومعناتهُ واحد ، تقول : عرفتُ ذلك وفي معنى كلامه ، أي فحواه " [٩] وفي ذلك إشارة إلى أن دلالة المعنى لغوياً هو القصد والمراد أو الفحوى ، وتترادف الدلالاتُ اللغوية فلا تخرج عن المعنى والفحوى والمغزى والعمود والغرض [١٠] لكن الدلالة الجامعة بينها هي دلالة المقصد أو القصد [١١]

المعنى في الاصطلاح:

يقول الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات : " المعاني : هي الصور الذهنية من حيث إنّهُ وضع بإزائها الألفاظ ، والصورة الحاصلة في العقل من حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى ، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً ، ومن حيث إنّه مقول في جواب ما هو سميت " ماهية " ومن حيث ثبوته في الخارج سميت "حقيقة " ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت " هويه" المعنى ما يقصد بشيء " [١٢] ؛ فالجرجاني تحدث عن المراتب المعنى ، على اعتبار أن المعاني هي صورة ذهنية ، وهي تشير إلى حقيقة الشي باللفظ ،فتسمى معنى ، وإما انها تحصل من اللفظ في العقل ، وهذه بمثابة المفاهيم العلمية التي تتصف بالمجاز ؛ لأنها تنقل من المعنى الحقيقي إلى المعنى الاصطلاحي العلمي ، فالجرجاني تحدَّث عن مراتب المعنى ، بوصف

المعاني هي ما كانت صوراً ذهنية و تشير إلى الشي بحقيقته باللفظ فتسمى معنى ، والمعنى " فالتفكير في اللفظ والمعنى تفكير جُملي يفكر فيه الأديب مرة واحدة ، وبحركة عقلية واحدة ، فإذا رتب المعاني في الذهن ترتيباً منطقياً ، وإذا تحددت في الفكر تحديداً يجمعة ترابط المعاني وتداعيها هذا الترابط " [١٣]

وقال حازم القرطاجني(تـ٦٨٤هـ) عندما تكلم على عملية تشكيل المعاني لدي الناطقـين " إنّ المعاني الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكّل شيء له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أُدرِك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام للفظ المعبر به هيأة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط .... صارت رسوم الخط تقيم في الإفهام هيآت الألفاظ " [١٤]

اولاً : ترجمة عماد الدين الأصبهاني

محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن عبدالله بن علي بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله [١٥] ، والمشهور بالعماد الأصبهاني [١٦] الكاتب . وتوفي ٥٩٧هـ .

أثر البيئة في غرض المديح عند شعراء (خريدة القصر وجريدة العصر)

اهتم النقاد العرب منذ العصر الجاهلي بالمديح ، فهو من أبرز الأغراض الشعرية التي لاقت رواجاً في الشعر العربي ، فهو فنّ قديم النشأة في الأمم جميعها ، ورافق الشعر العربي منذ نشأته حتى يومنا هذا " هو تعداد لجميل المزايا ووصف الشمائل الكريمة وإظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم مزايا وعرفوا بمثل تلك الشمائل " [١٧] أو "الأصل تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية ومزايا إنسانية رفيعة ، يتحلى بها شخص من الأشخاص ... وأفضل المدح ما صدر عن صدق عاطفة وحقيقة واقعة " [١٨] وقد حصرها قدامة بن جعفر في أربع خصال وهي "العقل والشجاعة والعدل والعفة " [١٩] ويؤيد ابن رشيق القيرواني [٢٠] كلام قدامة لكنه اضاف إليه إمكانية استحداث ما يعبر عن الصفات التي تخص الممدوح من دون غيره ، وهذا يفتح المجال أمام الشعراء في استحداث ما

يجدونه فيرقى بمستوى الممدوح ، وكانت معاني مديح الشاعر التي " كانت يؤثرونها في أشعاره هي المعاني المألوفة لدي معظم الشعراء العرب مثل الكرم والشجاعة والتواضع والهيبة والصدق والعدل ..." [٢١] وكان العامل الأول عند الشعراء تجسيم الصفات الطيبة والأخلاق العالية والمزايا الرفيعة ، فبعضهم يمدح للتقرب من الخليفة في سبيل الحصول على رضا الممدوح أو عطاياه وهذا يقترن بالتكسب " انهيال الجوائز على الشعراء كان له الأثر واضح في ناحيتين : الأولى في مظاهر حياتهم ، فقد كان غيرهم واحد منهم وخاصة الموهوبين ، ومن كانوا غير مفرطين في إسراف ما كانوا ينالونه من هذه الجوائز ، يعيشون حياة رخاء وترف وغنى ....والثانية : في تحسين الشعر والبلوغ به أعلى درجات الإجادة" [٢٢] إنّ الشاعر حين يبدع أو ينتج معنى من المعاني فإنه يسعى إلى تحقيق هدف معين ، واستطاع الشاعر العباسي في إنتاج معانيه أن يلامس ما إرادة المتلقي ، ومن تلك المعاني التي تنال رضا الممدوح معاني المدح وينال الشاعر ما يريده ، وقوف الشاعر على معاني المدح من أجل التكسب بالشعر ، فجعلوا غاية المعاني الرغبة في الطمع في نيل المال والجوائز " هذه الرغبة في المال ، وهذا التكسب بالشعر جعل الشاعر لا يفكر في الممدوح وما يتصف به حقّا من صفات السمو والكمال ، بقدر تفكيره في الحصول على اكبر قدر ممكن من العطاء ، ولهذا كان على الشاعر أن يعمل على نيل الرضا من الممدوح فيختلق له صفات كمال ، أو يصفه بما ينبغي ، لا بما هو في حقيقة الواقع " [٢٣]

ولا يختلف القرن السادس الهجري عن القرون السابقة من ناحية كثرة المدح قياساً لكثرة الأغراض الأخرى ، وكان في الماضي من أجل المال والتكسب ، فكان بعض الشخصيات عرفت بتشجيع الشعراء ، وبذل الأموال من أجل ذكرهم في قصائد [٢٤] ، وإنّ بيئة العراق ومصر أحتلت مكانه واسعة دون البيئات الاخرى في غرض المدح .

وقد شكلَّ غرض المديح في خريدة القصر وجريدة العصر نسبة كبيرة في مجمل الشعر العربي الذي قيل عبر العصور التي عاشها في ظل الحكم

العربي من حكام العباسيين ، وجاء على شكل قصائد طوال ، ومقطوعات مزجت مع اغراض اخرى مثل الوصف والنسيب والحرب والعدل ومدح الحكام ومدح النبوي

مدح الحكام : وهي الإشادة بالصفات الشخصية بالممدوح مثل الجاه والنسب والمكانة العالية ، وأنه ملتزم بالإسلام ويقتفي بالعدل الذي أوصى به القرآن الكريم والسنة النبوية ، ووصف المعارك التي شارك فيها وحقق الانتصارات وَيُعدُّ بمثابة القائد في الجيش ، وقال : الأجلّ الدين، وله شعر يقطر منه السلاسة ، وينشر به عرف الرئاسة ، وقد مدح الإمام المستضيء بأمر الله ، يهنئه بالخلافة ، فأكثر الشاعر في إنتاج المعاني السياسية في عقد البيعة : من البسيط

قد أمّنَ الله ما كنّا نُحاذِرُهُ ... بعدل مولى زكت منه عناصُرهُ
خليفةٌ عمّ أهل الأرض قاطَبة ... جواداً ، وطّبقت الدنيا مآثرُهُ
واستبشرَ الدَّهرُ لما صار مالِكهُ ... تَمضي عليه بما يَهوى أوامرُهُ
أجرى إلى العدل من سيل بمنحدر ... فياله بحرَ جُود عَبَّ زاخرُهُ

.....

سمعاً إمام الهدى من عبد نعمتكم ... عبد صفت لَكُم منه سرائَرُهُ
ما زال يأمُلُ هذا اليوم مبتهلاً ... فحينَ وافى وَفي بالنَّذرِ ناذرُهُ
بسطت آمالَهُ من بعد ما قضت ... فطار بالنُّجْح في مَسعاه طائرُ
ولاؤكم يا بني العبّاس جُنَّتهُ ... وحُبّكُم أخلصت فيه ضمائرُهُ
غرستموه فأضحى مُخلصاً لكمُ ... تجيد في شكر نُعماكم خواطرُهُ
يا ابن الخلائف، ذُمْ واسلم ،وكن أملي ... بك اهتدي في ظلام الليل حائرُهُ
قد أحكمَ الله عقداً أنت عاقده ... وعِزُّ ملكك قد شُدَّتْ مرائرُهُ (٢٥)

فالشاعر في قصيدته زاوج بين الغرض الأصلي المدح والتهنئة في قصيدة واحدة وبيان الألفاظ الإسلامية فيها ، وكان الشاعر متأثراً بالشرائع الدينية ، فالشاعر يهنئ الخليفة بقدومه لهم ، وإن الله عز وجل استجاب لهم بهذا الخليفة الذي سيحكم بلادهم ، وقدومه بمثابة استقرار البلاد والحفاظ عليها من المهالك التي تتعرض لها البلاد كل حقبة زمنية من المعارك ، فهو ذكر صفات الممدوح التي أضافها من المعاني التي تؤدي بالغرض الشعري فالممدوح ينماز بالشجاعة والفروسية ، والكرم ، إذ يأتيه كل محتاج ولا يرده ، بل يكرمه وإن قدوم الخليفة أفرح الدهر الذي أعطى له

صفة الإنسان، وهذا يشير الى العدل القائم عليه الخليفة ، وكان قراره بمثابة أوامر ، ثم يشير الشاعر إلى كيفية سباقة للعدل ، وكأنه سيل ينحدر من شيء مرتفع ، ويصفه بالبحر ؛ لأنه كريم جواد ، فهو كالبحر الذي ينضب ،ثم يذكر أن عامة الناس سمعت بشجاعته وكرم ، ثم يذكر الشاعر أجداد الخليفة بني العباس ، فوصفهم أنّهم جنّة ، والناس اخلصت لهم بالحب والوفاء ؛ لأن عدلهم انتشر في الأرض ، و رأت الناس كرمهم وعدلهم ،فيتبعونهم فهم منجون لهم ،ومن الجدير وصف الناس بالليل وظلمته ، أي بمعنى تائهون وانتم من أنار لهم طريقهم ، فالشاعر يمدح بالألفاظ التي تدل على أنه من أهل التقوى (قد أحكم الله عقداً نت عاقده) اي تحكم بما أنزل الله ، وتطبيق الشرع ، وإن الحكم جاء اليك وليس بطامح له .وقال الامير مجد العرب ، شاعر داهيه وأعجوبة عصره ، يصب شعره في قالب السّحر ، ويباهي الفضلاء بالنظم والنثر ، ويصوغ بأسلوبه الغريب ، مولد عراقي ، ومن شامياته التي يمدح بها (الأمير حسام الدين ، تاج العرب ، قطب الملوك ، ويذكر ظفره بالفرنجة بعد عودته من الشام ، وأنشده في قرية (ماردیك) في سنة ٥٣٤هـ : من الطويل

أطاعك_ فيما ساءَ حاسدَكَ ـالدهرُ ووالاك مـا عـادى مُـعاديـك الـعمـرُ
ولا اسـتعرتْ إلّا بـحملاتك الوغَى ولا سـار إلّا تـحـتَ رايـاتك النـّصرُ
فأنت آلذي أرضى عن الدِّهر قربَةً وجـمّـلتِ الأيـامَ أيّـامُـهُ الـغـرُّ
كرُمتَ فمن(كعبُ)السّماحِ وحاتمٌ ؟ وصُـلتَ فـمَن (زيدُ الفوارسِ)أو عمْرُو؟
ملـوكُ البرايا أنـجمٌ وأنتَ شمسها اذا الشّمسُ ذرّت غابتِ الأنجمُ الزُّهرُ (٢٦)

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول (النابغة)

فإنّك شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ اذا طلَعَت لم يَبدُ منهنّ كوكبُ (٢٧)

فالشاعر ذكر أن الخليفة كان يشارك في المعارك والحملات التي قادها ضد الإفرنج ، فالشاعر بدأ قصيدته بإطاعة الناس له حتى حسادك الذين يبغضونك ، بينما ألبس للدهر صفات الأنسان ، كما أن العداء لك من حاسديك من جهة ، ومن جهة ثانية الإفرنج ،إذ يتمنون لك الموت في سبيل تحقيق الانتصار ، على حين صور الشاعر الخليفة بأنه كان قائداً لجيوش في المعارك ، وبيان ذلك عن طريق الرايات التي تسير بعده تحت رأيته ، ودليل النصر على شجاعته وذكائه ، فالشاعر بين ذلك على الرغم من قوة الخليفة وسلطته ، لكنه يذكر فيه صفات أخرى مثل كرمه ،مثل كعب المشهور عنه عند المتلقي بالتسامح والعفو ، وكذلك حاتم الطائي الذي يضرب به المثل بالكرم ، ويشير بزيد الفوارس ،المعروف عنه بالقتال ، فالشاعر أعطى للخليفة أفضل الصفات حين شبه الملوك بالنجوم ، وهو بالشمس فإن قدوم الخليفة وهيبته جعلهم لا شيء أمامه ، فيرى اختفاء الملوك يعني قوة سلطته ، وإن قوة الشمس عند الطلوع تخفي الكواكب

الأخرى، وكذلك وصف الملك بالرفعة وضياء والسمو ، فالشاعر في البيت الأخير يضمن من قول الشاعر النابغة الذبياني، وقد أشاد الشاعر لرفعة ممدوحه وعلو شأنه وحاول الربط بين الممدوح ... فالعربي من طبعه " يأنف بدوافع عديدة ، أن يوصف بالجمال ، على أن يتوق كثيراً إلى ذكر نسبه وتعداد مفاخر قبيلته وامجادها [٢٨] .

المدح النبوي

يُعَدَّ المديح من الأغراض الشعرية التي كان لها حضور في حياة النبي محمد (ص) وانتشرت إنتشاراً واسعاً بعد وفاته ، وهو فن قديم قد أرسى قواعده كعب بن زهير واتبعه شعراء آخرون في بيان مناقب الرسول (ص) تعبيراً عن مشاعر الحب والإعجاب والرجاء ووسيلة للشفاعة والتقرب إلى الله تعالى [٢٩] وما زال الشعراء يكتبون بهذا الغرض حتى الشعراء العباسين وهو " لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع ؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص " [٣٠] وفيها يمدح الرسول (ص) ، ويعدد مناقبه ، ومعجزاته بعد التشوق لحج البيت الحرام ، وقد شاع هذا الغرض في أواخر عصر الموحدين [٣١] ولم يكتفِ في المشرق بل نجده في الأندلس بسبب التمسك بالعقيدة الإسلامية ، فكانت الاحتفالات النبوية مظهراً سياسياً من مظاهر هذا التمسك من جانب آخر كان الشعراء يتبادرون في بث المشاعر الدينة [٣٢] في العصر العباسي إذ نجد المدح النبوي بدأ بذكر النبي (ص) في مدح الخلفاء ، فقد مضى المديح النبوي على ما كان عليه العصر الأموي ،وقال الأجلّ أبو الفضل ، له كثير من القصائد التي مدح النبوي فقال : من الطويل

ألايارسولَ الله ياخيرَ مَنْ مشي ... على الأرض ما مقدارُ مدحي ولا حمدي ؟
إذا قابلتك الشّمس أخفَت ضياءَها ... حياءً ، وأغضَت وَهي تختال في السَّعْدِ
تدارَك رَبُّ النـّاس أمرَ عباد ... بيـُمنِك والشّـِركُ الشّنيع لـهم مُرْدِ
وأبعدهم من حرّ نارٍ عذابُها ... ألـيم ، فـفازُوا بـالنَّعـيم وبـالـخُلدِ
فِداؤك نفسي!إن نطقتُ فما انطوى ... عليه ضميري منك أضعافُ ما أبُدِي
أشَعتَ الهُدى فاستنكر النّاس بعدَه ... (يَغوثَ) ومالُوا عن (يَعوقَ) وعن (وَدِّ)
ودانُوا بدين الحقّ لمّا أتيتَهم ... بمعجزة غَضَّت من الألسُن اللـُدِّ
عليك سلامُ الله ما لاحَ بارقٌ ... وما هتَفَت قمريّةٌ في ذُرا رَندِ (٣٣)

فالشاعر ذكر الصفات التي انماز بها أفضل الخلق ، فهو يقر بأن مدحه لا يكفي ، فهو بيّن منزلة الرسول في الضياء والنور ، بدليل أن الشمس تخفي ضياءها خجلاً أمام ضياء الرسول (ص) ، كما أن النجوم تخفى عند ضياء الشمس ، وبين مكانة الرسول (ص) في إخراج الناس من الظلمات الى النور ، فهو يشير لّما كان يعبدون من الأوثان التي تجعلهم في الظلمات ، أي مصيرهم النار ، أي إخرجهم من هذا

العذاب ، في البيت الرابع قابل الشاعر ، لبيان منزلة الرسول(ص) من إخراج من الظلمات إلى النور ، ثم فهو وصف النبي (ص) بالسعد ،أي أنه الكواكب العشرة ، أنت الذي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور فكانت الناس في جهل عظيم ولولاك تعذب الناس في الآخرة ، فكنت الناجي لهم وسبب دخولهم الجنة ، وترك الناس عبادة الأوثان التي كانوا يعبدونها (يَغُوثَ) و(يَعُوق) و (وود) وهذه الأصنام كانت بعض القبائل في الجاهلية تعبدها ، وأشار القرآن إلى هذه العبادات قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [٣٤] وجاء النبي (ص) بالمعجزات والبراهين التي تبين ما كانوا عليه ، ثم واصف بالرند شجرة طيبة الرائحة . وكتب الشاعر الأبيوردي، في مدح الرَّسول (ص) قصـيدة طويلة جاء منها :

أُزيـرُها قرشيّاً فـــي أســـرَّتهِ نورٌ ، مِـــنْ راحَتيهِ الخـــيرُ مأمولُ
تحكي شمائِلُهُ في طيبها زَهَراً يَفوحُ والرّوض مَرهومٌ ومشمولُ
هـو الَّـذي نَعَشّ الله الِعبـاد بهِ ضـخمُ الدّسيعةِ متبوع ومسؤولُ
فكُلُّ شيء نَهاهُم عَنه مجتَنبٌ وأمـــرهُ وهـــو أمـــرُ الله مـفعولُ

...

يا خاتَم الرّسْلِ إن لم تُخشَ بَادِرَتي على أعاديك غالتي اذنْ غولُ [٣٥]

فالشاعر ذكر صفات الرسول(ص) وهو بدأ قصيدته الطويلة ، وجاء منها إن زيارة الرسول (ص) أصبحت واجبة وان الرسول حي في ذكر الشاعر ، ثم ذكر قريشا وبه نسب الرسول (ص) من قريش ، فهو مدح الرسول وقبيلة قريش ثم صفات الرسول (ص) وملامحهُ بضياء النور وهو تضمين من قصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى في قصيدة البردة التي مدح بها الرسول(ص) حتـى يعف عنه :

إن الرّسول لنّور يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلولُ [٣٦]

ثم يذكر الصفات الاخرى للرسول(ص) في خصائله الكريمة في طيبها ، مقابلها برائحة زهور في الروض ، عندما تتساقط الأمطار عليها ، فواصف الرسول (ص) بهذا بخروج الناس من الظلمات إلى النور ، فهو موصوف بالرائحة الزكية العطرة الطاهرة ، ثم إن الرسول (ص) قد خلّص الناس من عبادة الأوثان ، فالنواهي والأوامر التي جاء بها الرسول(ص) هي من الله عز وجل ، وتطبيق الأحكام الشرعية جاءت في كتاب الله المقدس ، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، تكريماً له وتعظيماً لشأنهِ . وإذا ما جئنا إلى أهل البيت – عليهم السلام – فإن الشعراء قد كتبوا عنهم قصائد رائعة ذكرها لنا تاريخ الأدب العربي ومن تلك القصائد ما قال ابن قسيم الحموي ، في حبّ اهل البيت : من الكامل

ويـدٍ بـآلِ مُـحَـمدٍ عَـــلِقتْ مِنّي فلستُ بغيرهم أرضى

جعل الإلهُ عــليَّ حُبــَّهــمُ وعلى جميع عبــاده فَرْضا
فأثــارَ ذلك مــنْ زنـادقـةٍ حَسَداً فـسَمَّوا حُـبَّهم رِفضا
وعَجِبتُ هل يرجو الشَّفاعة مَنْ ينــوي لآلِ محمدٍ بُغْـضا (٣٧)

قال منصور بن محمد العاصمى، في مدح الأنــصار (رضي الله عنهم) : من البسيط

سَألتَني مَدحَ أنصار الرَّسول وَهَلْ يفي لِساني بمدح القَومِ أو قَلَمِي
هُمُ الرِّجالُ تولىَّ الله مَـدْحَهُمُ ثمَّ الرَّسولُ فما قَوْلي وما كَلِمي
ما قيَّض الله إذ آوَوْا وإذ نَصَرُوا لأفضلِ الرُّسلِ الا أفضل الأُممِ (٣٨)

فالشاعر يّسلط على معاني المدح وما كان لهم من تحقيق النصر وكذلك صفاتهم ، وفضل في مناصرة الرسول (ص) عندما هــــاجر من مكة إلى الحبــشة (المدينة المنورة) ، وإن مدحهم لا يكفي بلسانه لا يوف حقهم ولا يرد فضلهم مع الرسول (ص) وأصحابهِ ، قال تعالى﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٩) من ثم قال عنهم الرسول(ص) قال فيهم وما بين لهم ، والشاعر يقول وهل لي بعد كلام الله وكلام الرسول (ص) كلام ، وفي البيت الأخير يشير الشاعر إلى هجرة الرسول ومالهم من دور كبير لِنصرته واتباعه إذ استقبلوه ، وهو أفضل البشر . وبيّن صاحب الوساطة ضرورة التلاؤم بين اللفظ والمعنى فيما يتعلق بالمديح فقال :" أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ... وتتصرف للمديح تصرف موافقة ، فأن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف " (٤٠) .

ونجد تأثير البيئة واضحة عند الشعراء ، فبدأ الشعراء بالشعور بمأساة العصر ممّا جعلهم يصبرون على الواقع المجحف ،إذ مدحوا الصــبر في قصائدهم ، فقال الطّغرائي ' فقال في مـدح الشكر والصّبر : من الطويل

ألمْ تَرَ أنَّ الشّكرَ لِلصّبرِ تَـوْأمٌ وانَّـهما ذُخْرَانِ للعُسْرِ واليُسْرِ
فشكراً إذا أُوتيتَ فاضلَ نـعمةٍ وصبراً إذا نَابَتْكَ نائبةُ الـدَّهرِ
فَلَمْ أرَ مِثلَ الشُّكْرِ حارسَ نعمةٍ ولا ناصراً عندَ الكريهةِ كالصَّبْرِ
وَمَا طابَ نَشرُ الرَّوضِ إلا لأنَّـهُ شكُورٌ لما أسْدَتْ إليه يدُ القَطْرِ
وما فَضَلَ الإبريزُ الاّ لأنّـهُ صبُورٌ على ما مَسَّهُ وَهَجُ الجَمرِ (٤١)

فنجد الشاعر زين قصيدته بالتضاديات في سبيل بيان أثر البيئة العباسية ، فيه ممّا جعل يمدح الصبر والشكر ، ولم يجد له سابقاً ، فالشعراء أصبحوا أكثر إيماناً بالله فهم يصورون تلك الظروف التي يمرون بها قاسية ومع ذلك يصبرون على تلك

المصائب ، فحين قابل (الشكر والصبر – ولعسر واليسّر) فهو قابل بين منزلة الصبر عندما يمّر الإنسان في ظروف صعبة ، ثم بيّن إذا أعطى الله النعمة للإنسان واجب عليه الشكر وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٤٢) وان الصبر على الحوادث في فقدان عزيز ، وجبّ على المسلم الصبّر ، وان استمرار الشكر يحرس النّعمة من الزّوال ، ولا شيء أفضل من الصبر عند عوارض الدهر عندما يصاب بها الإنسان ، ثم بيّن الشاعر من خلال مقابلة الإنسان الشكور بالروض ، حين جعل الروض ينتظر حتى أنزل الله المطر ففرح ، وكذلك الإنسان الشكور ، وكذلك الانسان الصبور الذي يتحمل وهجه العذاب ، ويصبر عليها .

ومن أثر البيئة العباسية في الشعراء ، ومن الثقافات التي امتلكها الشاعر ، فضلاً عن الحضارة ، فأصبح الشاعر يقول الشعر في كل شيء يراه يستحق المدح ، ممّا جعل الشعراء في الوقوف على مدح الطرديات ، واتبع ذلك الشعراء في الأندلس الذين نمازوا بوصف الطبيعة ، وإن الشعراء من العصور السابقة لم يمدحوا إلا الخيل من الطرديات ، وأكثر شاعر وصف الخيل امرؤ القيس الذي أطلق عليه (قيد الأوابد) ولكن الشعراء في الأندلس توسعوا في ذلك حتى مدحوا كلب الصيد ، وقال : الحكم بن أبي الصلت، من أهل المغرب ، في مدح كلب صيد :

خير معدٍ مُتَّخَذْ ليوم عَيشٍ مُسْتَلَذْ
منفرد بالحسن قَدْ سوُبق بالجرد فَبَذْ
سبق النُّصولِ للْقُذّذْ فما انبرى إلا نفذ
ولا رأى حتى أخَذْ (٤٣)

فالشاعر تأثر بالحضارة الجديدة الحضرية ، حتى نجده أبدع في وصف كلب الصيد في صفات تبين ، فهذا الكلب يستأنس به في الصيد لما يتصف به من جمال وسرعة، فهو يسبق الخيل لدلالة على السرعة ، عندما يرسل الى فريسته ، وكأنه سهم ارسل ، ولا يرجع حتى يأتي بالصيد .

ومن أثر البيئة في العصر العباسي ، فنجد الشعراء في القرن الخامس والسادس الهجريين، قد مدحوا اصحاب الحرف ، فمنهم أصحاب القلم ، فهم يذكرون بمعانٍ ترقى لأهمية العلم ، وقد مدح الشعراء القلم ، ومنهم الشاعر أبو بكر الأرجاني: من السريع

ليتَ لهُ مِنَ اليَراع مخلَبٌ مُفتَرسُ الأسود والأساودِ
يحفظُ في خدمته الرسمُ فلا يبدو لهُ في الطّرسِ غير ساجدِ
إذا عَلا بياضهُ حَسبتْهُ يعلو مَشيباً بشبابِ عائدِ
وان مَضَى في أربٍ ظَنَنتهُ مَضَاءَ سيفِ البطل المناجدِ (٤٤)

فالشاعر يتمنى لهذا القلم مخلب ، استعارة أراد بها للشجاعة والقوة ، وكأن الشاعر يرمز لحيوان مفترس مخيف ، كالأسد ، فأراد مهابة هذا القلم لا تقل عن مهابة الأسد ، له أهمية أكثر من أهمية الاسد الذي يمتلك مخالب جارحة مميته ، فهو يحفظ أهمية الرسام وإبداعاته ولولاه لمّا ظهر جمال الصورة الرسام ، ثم يشير الشاعر، إلى استعارة التواضع إذ يعطي حالة السجود ، فلا يعرف ميزة وجمال القلم حتى يتواضع لبيان خطة ، فلابدّ للإنسان من التواضع ، فالشاعر رسم الصورة الممدوح القلم إذا رفع عن الكتابة ، أصبح لا فائدة منه مثل الإنسان إذا خضب الشيب به ، أما إذا عاد وكتب بخط السواد أصبح شاباً، ربط الشاعر بين اللون السواد والشباب ،وأعطى الشاعر أهمية كبرى لوصفه بالسيف ، فلا يعرف أهمية السيف حتى يقاتل فيه ، وكذلك القلم حتى يرسم فيه الرسام ، فالشاعر أكثر من الجناسات والاستعارات والتشبيهات ، في بيان مدح القلم وأهميته (الأسود ، والأساود)(مخلب)(علا بياضه) فأمزج الشاعر في قصائده المستوى الصوتي ، من جناسات وطباقات واستعارات ليؤثر في المتلقي . فقال هبة الله ' في طبيب : من السريع

سيَّدُنا مــازالَ في طِبّهِ بالحِذْقِ والتمــييزِ مَمدُوحَا
نَبُــثُّهُ ظــاهرَ أحوالِنا فيكشفُ البــاطنَ مَشرُوحا
كأنــما فِكرَتُــهُ مازَجَتْ من العليلِ الجــسْمِ والرُّوحا
نَظُــنُّ من تــوفيقهِ أنَّهُ وَحــيٌ إلــيه أبــداً يُوحَى
مَنْ لم يكُنْ في طِبّهِ مِثلَهُ كان بعينِ النَّقصِ مَلْمُوحا (٤٥)

فقد مدح الشعراء الطبيب بذكر الصفات عن طريق المعاني ، التي عبر فيها الشاعر عن ممدوحه الطبيب ، وهو لم يكن في العصور السابقة ، إن مدح الطبيب لم يكن له وجود ، فالبيئة لها أثر في هذا الغرض ، وظهور العلوم من خلال تلاقح الثقافات ، حين بين مقدرة الطبيب الحاذق الذكي ، فهو في طبه ، فهو يعرف الإنسان عندما يعتريه المرض ، فيكشف الباطن ، الأمراض التي لا ترى ثم يعالجها ، وما انمار به الطبيب من ذكاء فَذّ ، حتى يعرف ما يعانيه الجسم من الأمراض .قال الشاعر علي بن الزيتوني ' من شعراء الأندلس يمدح بعض القضاة :

نَهــاه عن محـارمه نُهاه وقـرَّبه لخــالقه تُـقـاه
وقال الله ليــس سواي رَبّ ولا لِـشَريعتَي أحدٌ ســواه
هو البَرّ العطوفُ على البرايا وبالأيـتام يــرحمُ من أتــاه
وشَدّ به عُرى الإسلام حتى رأينا النُّــجْح وانعقدت عُراه
أمينٌ ، عدلُه غـمر البَرايَا فما يُخْشى على أحد قضاه (٤٦)

ومن المهن التي وقف الشعراء عليها ومدحوها وأثنوا عليها في المدح ، بحكم البيئة التي عاشها الشاعر ، من شعراء الأندلس الذي مدح بعض القضاة ، من المعاني السهلة المعروفة للجميع في سبيل بيان قضية شرعية يحتكم إليها عامة الناس ، فالقضاة أقرب الناس عن ترك المحارم وقربهم من الشريعة الإسلامية ، وعبادة الخالق وحده ، وإن هم أولى الناس بتطبيق الشرائع الاسلامية ، فهو يعرف حكم الوالدين ، ومن حقوق الايتام ، وهم أولى بهم الإسلام لحفظ الشرائع ولم يكن أولى من عبادة الله إلا القضاة ، لأنّهم عارفون بالأحكام الشرعية ، والعقوبات الربانية ، وجب عليهم الطاعة والأحكام . وقال الشاعر الأبيوردي، كتب قصيدة في مدح الخطيب قائلاً: من البسيط

يَهزُّ مِنبرهُ عُجباً بِمَــنطِقةٍ تَرَتُّجَ الشَّربِ من سُكرٍ وَتَطريبِ
وَلَيسَ إن سَار في أثناءِ خُطبَتهَ كالمهرِ يَخلــطُ أُلهوباً بأُلــهُوبِ
لكنّهُ يَمْلأُ الأسماعَ مِنْ كَـلِمٍ ضاح على صَفَحاتِ الدَّهرِ مَكتُوبِ
والقَارحُ المُتمطّي عَلاَلَتهِ يَشُوبُ في الحُضرِ تَصعيداً بِتَصويبِ (٤٧)

فالشاعر بيّن في قصيدته مدح الخطيب ، فيقف على المنبر، من ثم فصاحة ألفاظهِ ، وصوته الجميل في حالة المد والقلقلة ، اذ بين الشاعر كلامه الجميل ، الذي يؤثر في السامع ، لأن كلامه أصبح معروفاً على مرور الزمان ، إذ يهابه العدو ، وإن وقوفه على مكان مرتفع يدل على هيبته ، فانمازت القصيدة بالصور التشبيهية والسمعية والبصرية ، ليدل على هيأة الخطيب ، وأثارته وإعجاب الناس به . وقال الأبيوردي ، في مدح وصف الأسد :

وما مُتوقِّدُ اللّحَظاتِ يَحْمي على حَـذِرٍ مُعَرَّسهُ بَـوَهْدِ
كَأنّ نَفيَّ جِلْـدَتِهِ بَقايا دِلاصٍ فَضَّها المَلوَانِ سَـرْدِ
تَراهُ الدّهرَ مُكتَحِلاً بِجَمْرٍ يَكادُ يُذيبُ مُهْــجتَهُ بِوَقْدِ
بِأحضَرَ وَثبَةً مِنهُ إذا ما رأى إغضاءَهُ يَلِدُ التَّعَدّي (٤٨)

فالشاعر شبه عيون الأسد كأنّها صفراء و مثل النار ، ثم بيان المظهر الخارجي جلده أملس براقة اي لون بين الظلام والنهار ، أي مزج بين اللونين ، فهو جعل الأسد مكتحل العينين محمرتان ، فهو يشير إلى حالة الغضب من الأسد ، ثم بين سرعة هذا الحيوان المفترس ، ويستطيع أن يحصل على فريسته مهما كانت سريعة ، فإن العدو لا ينجو منه .

فنجد تأثير البيئة العباسية الجديدة عند الشعراء ، إذ أدهشته مظاهر العمران والوقوف عليها وهو يصورها ، فوصف القصور والمدن وما فيها من مجالس اللهو والسفن والمراكب والأعياد ؛ فهو في إنتاجه تلك المعاني ، إنما يعبر عن موقف

الشاعر البدوي من خلال إعجابه بالحضارة التي ينظر إليها بعين الدهشة ، فنظم فيها أروع المعاني والأوصاف [٤٩]

فقد تطورت الأغراض الشعرية ، في هذا العصر ، نتيجة لتطور الحياة الأدبية والبيئية ، فقد كان الشاعر في العصر الجاهلي يصور الحياة الصحراوية وما فيها من نباتات ومخاطر يتعرض لها الشاعر ، فكان يصف ظلمة الليل عندما يريد أن يمدح من أجل التكسب ، وما يتعرض له الشاعر من حيوانات الصحراء مثل السباع والذئاب ..... أما في العصر العباسي فقد غير الشاعر من الوصف وبدأ واصفاً البناءَ العالي والقصور وغيرها التي تعبر عن البيئة التي تأثر بها الشاعر ، ومن الشعراء من يصف المباني العلية ، البثيري الصقلي :

وقصورِ مَنْصُـوريةٍ حطّ السُّرُورُ بهَا المَطيّة
أعْجِبْ بمـنزلها الذي قد أكـمل الرحمن زِيَّه
والملعـبِ الزاهي على كل المـباني الهـندسيّة
ورياضِــهِ الأُنُفِ التي عادت بها الدُّنْـيَا زهيَّة
وأسُـودِ شَــاذِرَوَانهِ تهمي مياهاً كَوْثَـرِيَّة [٥٠]

ومن أثار البيئة الأندلسية والمعالم الجمالية التي دلّت عليها الذوق الأندلسي ، وترفهم وحرصهم على الأمراء ، وبناء القصور ، التي تدلّ على مهابة الخلافة ، وقد تفنن المعماريون في هندستها وتشكيلها وتزويقها ، ونقل الشعراء البناء العالي وألوانه وبساتينه وحدائقه مما يزيد الشكل الجمالي للقصر، فالشاعر رسم الصورة الجميلة للقصر والبناء العالٍ الذي رسم على شكل هندسي ، ثم بيان أن المنصورية فيها بناء عالي شاهق وجميل وما يحيط القصر من الزهور والملاعب واللهو والشراب الذي يطل على كل المباني الذي وضع على شكل هندسي ، ثم رائحة الزهور التي تبعث ، وما يحرس هذه المدينة من بناء عالي المتصلة ببعضها ، وما فيها من مياه الأنهار العذبة .

وكان من أثر البيئة الجاهلية في الشاعر في وصـف غدران الماء في الصحراء ، ولكن البيئة العباسية فقد أثرت في الشاعر في وصف الأنهار، وقال الشاعر أبوعبد السّنبسيّ ، جيد الشعر ، سديد البديهة ، له أبيات نادرة، له قصيدة يصف بها الأنهرُ : من الطويل

فما (نِيلٌ مِصر)و(الفُراتُ) و(نِيلهُ) و(دَجْلةُ) في(نَيسْانَ) ذاتُ الرَّواضعِ
تَرُدُّ لها (الزّابانِ)من كلّ مَنْطفٍ ذَوائب أعناقِ السُّيُول الدَّوافع [٥١]

فالشاعر هنا أعطى صورة تفصيلية حول الأنهر وما لها من أهمية كبيرة ، فيصف نهر النيل والفرات ثم دجلة وتفرعاته ، والزابان وما يجري بهما الماء وكيف يبعث الحياة للبشر فهو الجريان الأول والمهم

فالبيئة الجاهلية أجبرت الشاعر على وصف الصحراء في مقطع الرحلة ، أما الشاعر العباسي فيصف السفينة وركوب البحر ، وقال الشاعر ابن شقرق السبتى ' يصف السفينة ويحث صاحبه على ركوبها : من الطويل

فاركب على اسم الله متّن رَكُوبَةٍ خضراءَ تَسْبحَ فوق لُجٍّ مترع
اتَخِذَتْ جناحاً مثل قلبي خافقاً وحوت قَوَادَمَ كل طَيرٍ مُسْرِعِ
تسرى وتُزْجيها الرياح إذا سَرَتْ وَتَــمُرُّ مَرَّ العــارضِ المُتَقشّعِ
تستعذب الملح الأجاج لدى الظما ما المطاش وَرَدْنَ عَذْبَ الْمَشْرَعِ
وكأنــما ركـبانُها أبنـــاؤها تحـنو عليهم رأفـةً بالأضـلعِ
وكأنمــا المــلاحُ فيها آمِـرٌ يمضى أوامره لأول مَوْقِع (٥٢)

فالشاعر ذكر السفينة وهي تبحر في الماءِ ، ويحث صاحبها على ركوبها ، فهو يجعل من السفينة ، كأنّها دابة جاهزة للركوب ، ثم بدأ بذكر لونها خضراء ، ويصفها وهي في البحر ، وكأنّها انسان يسبح ، ثم يعطي شكلها على هيأة جناح ، وشبهها بالحوت ، وسرعتها بالطير ، وفي جريانها تعارض الرياح وتخلص من السحاب ولا تتأثر ، ويكون جريانها في الماء المالح كما في الماء العذب ، ثم ذكر الشاعر صفة هذه السفينة ، حين شبهها بحنان الاباء على اولادهم ، وتخاف عليهم من عوارض الدهر .

وكان الشاعر الجاهلي يصف ركوب الخيل او الناقة والفرس ،اما الشاعر العباسي فقد يصف ركوب البحر، وقال الأديب الحكيم أبو الصلت ، في أحبةٍ له ركبوا البحر مسافرين :

قلتُ لصحبي والدمع مستبق يُظهِرُ ما بـي لأعـين النـاسِ
ما ركبوا البحر بل جرت بهمُ في بحر دمعي رياح أنفاسي (٥٣)

فالشاعر في هذه الأبيات يبين ما يعانيه الشاعر من ألم الرحيل الأحبة في البحر ، وهو خائف عليهم من هذا الركوب ، فالناس ترى حزني ودمعي ، ولكن الشاعر يرى لم يركبوا البحر بل ركبوا على دموع الشاعر ، فحالة الشاعر شديدة الحزن ، بحيث جعل كثرت الدموع كالجريان البحر .

الخاتمة :

وبعد هذه الدراسة تبين لنا أثر البيئة في غرض المديح في كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) الذي نصل فيه إلى أهم النتائج.

- البيئة لها أثر كبير في كيان الشاعر حتى قيل إن الشاعر ابن البيئة ؛ والشعراء متأثرون في البيئة التي يعيشونها على مرور الزمن ، إذ نجد البيئة الصحراوية الجافة عند الشعراء الجاهليين عن طريق الفاظهم التي تحتوي على الخشونة والصعوبة ،ولكن الأمر في العصر العباسي اختلف وهذا راجع إلى البيئة المتحضرة التي أثرت في الشاعر ، ويظهر ذلك من سهولة الألفاظ وما مدى ثقافة الشاعر التي اهلته أن يكتب بكل شيء وهذا راجع إلى امكانيته .
- والمعاني التي صنع منها الشاعر الصورة الذهنية عن طريق تراكيب الألفاظ في سياق الجملة، وما جعل النقاد يشيرون إلى الترابط بين اللفظ والمعنى في أظهار الصورة الشعرية الجميلة وهذا أمر مهم عندهم حتى يكونة المعنى واضح والصورة خيالية تجذب أنتباه المتلقي وكانت الصور من البيئة الشاعر من رسم شجاعة الممدوح أو من الطبيعة اضافة الى الصور الحسية بينت معالم هذا العصر .
- فالشعراء في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر فقد كتبوا في جميع الأغراض ومن ضمنها غرض المديح الذي وجد منذ العصر الجاهلي ، وساروا على طريقهم في مدح الخلفاء والأمراء والملوك ، من أجل التقرب من الخليفة للحصول على الاموال والعطايا .
- ان مدح الرسول(ص) ظهر في البيئة نتيجة للواعز الديني والتذكير بصفاته الجميلة واخصاله الحميدة . وكذلك أضافوا غرض مدح الحيوانات الأليفة مثل الكلاب الصيد التي ظهرت نتيجة البيئة والترف الاجتماعي .
- كانت اختيارات صاحب الكتاب من شعر المديح ، متنوع على وفق ما يعجبه من شعر شاعر معين ، ويختار منهم بما يثيره وما يغلب اليه .
- ظهر مدح العمران من الأغراض الجديد ؛ نتيجة البيئة العباسية المتطورة والمتحضرة ، اذ بدأوا يستنكرون الموضوعات القديمة ، وانتقال من البداوة إلى الحضارة التي تجذب انتباه الشعراء، فالبناء العالي أثر في الشاعر من المنظر الجميل مع الازهار والروض وما يحيطه من أنهار ، فخلف عند الشاعر تصور في سبيل مدح هذا المنظر.
- انتقل الشاعر من شكل القصيدة التقليدية التي تبدأ- المقدمة – الرحلة – المضمون – الخاتمة إلى اختصار المقدمات من الواقع الذي يعيشه الشاعر، وانتقال من وصف الناقة الى وصف الطرق والسفينة والحيوانات ، وقد يدخل الشاعر إلى الغرض مباشرة من دون مقدمات .

Conclusion

- Upon the culmination of this engaging literary journey, one is confronted with the profound and intricate relationship between environmental influences and the art of laudatory expression as delineated within the pages of "Khareedat al-Qasr" and "Al-'Asr Newspaper." In this context, several salient findings come to the fore:
- In the realm of poetics, the environment emerges as a formative and inexorable factor in shaping the poet's persona. It is not without reason that poetry has been posited as the offspring of its immediate surroundings. Over the course of time, poets are ineluctably swayed and imprinted by the milieu in which they reside. Notably, this phenomenon finds its most conspicuous illustration when scrutinizing the austere and arid landscapes of pre-Islamic poets. Within their verses, one discerns a palpable coarseness and rusticity, aptly mirroring the stark rigors of their desert habitat. Conversely, the Abbasid epoch, characterized by its refined and cultured ambiance, gave rise to poets whose utterances flowed with an eloquent and sophisticated grace, a testament to the intellectual cultivation nurtured by their surroundings.
- The interplay between linguistic expression and conceptual depth assumes a pivotal role in the crafting of poetic imagery. It is through the meticulous and artful manipulation of words within the tapestry of a sentence that poets bring forth the vivid and captivating mental landscapes that adorn their verses. This intricate symbiosis between diction and meaning has long captivated the discerning gaze of literary critics, serving as the crucible from which exquisite poetic imagery is forged.
- Poets, perennial purveyors of praise, have traversed a historical trajectory marked by the veneration of caliphs, emirs, and monarchs.

This enterprise has been undergirded by a desire to secure the favor and patronage of the ruling elite, thereby gaining access to material resources and munificence.

- The panegyric homage rendered unto the Prophet Muhammad (peace be upon him) represents a manifestation of religious fervor, reverently invoking his virtuous attributes and commendable qualities as a source of inspiration.Similarly, the lyrical paeans dedicated to domesticated fauna, such as hunting dogs, emanate from a societal milieu characterized by affluence and the pursuit of leisurely pursuits.The author's curation of panegyric verses reflects a discerning and eclectic selection process, underpinned by emotional resonance and thematic significance. The exaltation of urban life bears witness to a cultural shift, resonant with the sophisticated and progressive milieu of the Abbasid era. This marked a transition away from antiquated pastoral themes toward an engaging and vibrant civilization that profoundly stirred the imagination of poets.In an evolution of literary form, the poet transcended the conventional structural paradigm, typified by an introduction, journey, content, and conclusion. Instead, a more direct and immediate engagement with theZthematic essence was embraced, thereby facilitating a swift and unencumbered exploration of the subject matter, whether it entailed the portrayal of a camel, a thoroughfare, a seafaring vessel, or an animate creature

الهوامش :

(١) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجواهري الفارابي : ٣٧/١ ، ومعجم مقايس اللغة ، ابن فارس ،: ٣١٣/١ .
(٢) ينظر : لسان العرب: مادة (بوأ) ، وينظر : تاج العروس : مادة (بوأ)
(٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى : ٧٥/١ .
(٤)البيئة ومفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي ، د. رجاء وحيد دويدي : ٢٧.
(٥) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مصطفى الشكعة : ٤٠٣ .
(٦) ينظر : العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ٤٤ – ٥٦ .
(٧) كتاب العين ، الفراهيدي : مادة عني
(٨) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور: مادة عنا .
(٩) الصحاح ، الفارابي : مادة عنا ، وينظر : لسان العرب ، ابن منظور : مادة عنا.
(١٠) ينظر : تاج العروس، الزبيدي : مادة عنى .
(١١) ينظر : معجم النقد العربي القديم ، أحمد مطلوب: ٣١٠/٢ .
(١٢) التعريفات ، الجرجاني : ٢٣٥-٢٣٦.
(١٣) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة : ٢٦٢ .
(١٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني : ١٨-١٩.
(١٥) ينظر : معجم الأدباء ، ياقوت الحموي : ٢٦٢٣/٦.
(١٦) وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ١٤٧/٥.
(١٧) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة : ٥.
(١٨) المعجم المفصل في اللغة والادب ، د. ميشال عاصي : ١١٣٣.
(١٩) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر : ٢٠ .
(٢٠) ينظر: العمدة : ١٣١/٢.
(٢١) دراسات في الادب الاندلسي ، سامي مكي العاني: ٧٠.
(٢٢) ابحاث في الشعر العربي ، تأليف : د. يونس السامرائي : ١٧٣-١٧٥. ، وينظر: ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، درويش الجندي : ١٩٦٩: ١٠.

(٢٣) أسس النقد الادبي عند العرب : ٢١٥ .
(٢٤) ينظر : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري : ٨٩ .
(٢٥) خريدة القصر وجريدة القصر : ١٩٨/١-١٩٩.
(٢٦) خريدة القصر وجريدة العصر : ٢/ ١٤١.
(٢٧) ديوان النابغة الذبياني : ٧٤.
(٢٨) التطلع القومي عند المتنبي ، جاسم محسن عبود ، ٦٢.
(٢٩) ينظر : فنية شعر المدح النبوي في الاندلس ، د. عــمر إبراهيم توفيق : ١-٢ .
(٣٠) المدائح النبوية في الادب العربي ، د. زكي مبارك: ١٧.
(٣١) ينظر : الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، د. محمد مجيد السعيد : ٢٦٩.
(٣٢) الاحتفالات المولد النبوي ، د. محسن جمال الدين ، بغداد ، ط١، ١٩٦٧: ٢٠-٢١ .
(٣٣) خريدة القصر : ٢٠٨/٣-٢٠٩.
(٣٤) سورة نوح ، الآية : ٢٣.
(٣٥) خريدة القصر وجريدة العصر : ٨ / ٢٢١ .
(٣٦) ديوان كعب بن زهير: ٦٠ -٦١ .
(٣٧) خريدة القصر وجريدة العصر: ١١ / ٤٥٣ – ٤٥٤ .
(٣٨) خريدة القصر وجريدة العصر : ٨ / ٤٢ .
(٣٩) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .
(٤٠) الوساطة : ٢٤ .
(٤١) خريدة القصر وجريدة العصر: ١٠٥/٧.
(٤٢)سورة ابراهيم : الآية : ٧ .
(٤٣) خريدة القصر وجريدة العصر: ٢٦٣/١٩.
(٤٤) خريدة القصر وجريدة العصر: ٩/ ٢٤١.
(٤٥) خريدة القصر وجريدة العصر : ١٨٨/١٥.
(٤٦) خريدة القصر وجريدة العصر: ١٨١/١٦-١٨٢.
(٤٧) خريدة القصر وجريدة العصر : ٢٣٣/٨.
(٤٨) خريدة القصر وجريدة العصر: ٢٦١/٨.

(٤٩) ينظر : فن الوصف : ١٦٤ .
(٥٠) خريدة القصر وجريدة العصر : ١٦/ ٢٣ ..
(٥١) خريدة القصر وجريدة العصر: ٥ / ٢١٣ .
(٥٢) خريدة القصر وجريدة العصر: ١٩ / ٤٤١ – ٤٤٢.
(٥٣) خريدة القصر وجريدة العصر : ١٩ / ٢٨٢ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١- ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٧م.
٢- الأصبهاني ، عماد الدين ،خريدة القصر وجريدة العصر ،حققه : محمد بهجة الأثري ، و د. جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .
٣- بدوي ، د. أحمد أحمد ،أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة مصر، القاهرة ، ١٩٩٤م.
٤- توفيق ، د. عــمر إبراهيم، فنية شعر المدح النبوي في الأندلس،دار غيداء – الأردن .
٥- جعفر ، أبو الفرج ، قدامة ، نقد الشعر ، أبو الفرج ، تح: كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، ط٣، ١٩٧٩م.
٦- الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد ت(٨١٦) هـ ،التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، د. ط، د.ت.
٧- الجرجاني ، للقاضي علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح وشرح محمد ابو الفضل إبراهيم ، علي محمد البيجاوي ، ١٩٦٦م.
٨- الجندي، درويش ،ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، الناشر دار النهضة ، مصر للطبع والنشر ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٩ م.
٩- حاقة ، أحمد أبو، فّن المديح وتطوره في الشعر العربي، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت .
١٠- الحاوي، إيليا ،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، دار الكُتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٩٨٠م.

١١-الحموي، لشهاب الدين بن ياقوت (تـ٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء ، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٢-خلكان ، أحمد بن محمد (تـ ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، دار صادر- بيروت ، ١٩٧٧م.
١٣-دويدي ، د. رجاء وحيد ،البيئة ومفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط١، ٢٠٠٤م
١٤-الدين ، د. محسن جمال، الاحتفالات بالمولد النبوي ، بغداد ، ط١، ١٩٦٧م.
١٥-ديوان النابغة الذبياني ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، د.ط، د.ت.
١٦-زكريا ، أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م .
١٧-الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تح: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ، ١٩٦٥م.
١٨-السامرائي ، د.يونس ابحاث في الشعر العربي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٧ م.
١٩-السعيد ، د. محمد مجيد ،الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٠م .
٢٠-سلامة ، الدكتور إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، مكتبة الأنجلو ، المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢م.
٢١-السوداني ، مزهر عبد ،الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
٢٢-الشكعة ، د. مصطفى،الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢، ١٩٧٥م.
٢٣-الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (تـ٦٧٤هـ)، الوافي بالوفيات، باعتناء : ريتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الالمانية ، استانبول ، ١٩٣١م.
٢٤-ضيف، د.شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف ، مصر، ط٦، د.ت.

٢٥-العـــاني ، سامي مكي ،دراســات في الأدب الأندلسي ، مطبــعة الجامعة المستنصرية، ١٩٧٨م.
٢٦- عبود ، جاسم محسن ،التطلُّع القومي عند المتنبي ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٧م.
٢٧-الفارابي ، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجواهري (ت٣٩٣هـ)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلمين ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٧م.
٢٨-الفراهيدي، الخليل بن أحمد (تـ١٧٠هـ)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، الناشر، دار ومكتبة الهلال .
٢٩-القرطاجنّي ، أبو الحسن حازم (تـ ٦٨٤هـ) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، ط٣، ٢٠٠٨م.
٣٠-القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، ط٥، ١٩٨١م.
٣١-مبارك ، د.زكي ، المدائح النبوية في الأدب العربي ،مطبعة الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
٣٢-مطلوب، د. أحمد، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد،ط١، ١٩٨٩م.
٣٣-مصطفى، ابراهيم ، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر،ومحمد النجار ، معجم الوسيط، دار الدعوة ، مصر، د.ت.
٣٤-يعقوب ، د. أميل بديع، و د. ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩ م.

References:

The Holy Quran

1. Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1997 AD.
2. Al-Isbahani, Imad Al-Din, Kharida Al-Qasr and Al-Asr newspaper, verified by: Muhammad Bahja Al-Athari, and Dr. Jamil Saeed, Iraqi Scientific Academy Press.
3. Badawi, Dr. Ahmed Ahmed, Foundations of Literary Criticism among the Arabs, Dar Al-Nahda Egypt, Cairo, 1994 AD.
4. Tawfiq, Dr. Omar Ibrahim, The Art of Prophetic Praise Poetry in Andalusia, Dar Ghaida - Jordan.
5. Jaafar, Abu Al-Faraj, Qudama, Criticism of Poetry, Abu Al-Faraj, edited by: Kamal Mustafa, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, 3rd edition, 1979 AD.
6. Al-Jurjani, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad d. (816) AH, Definitions, General Cultural Affairs House, Baghdad, Dr. I, D.T.
7. Al-Jurjani, by Judge Ali bin Abdul Aziz, Mediation between Al-Mutanabbi and his opponents, edited and explained by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ali Muhammad Al-Bayjawi, 1966 AD.
8. Al-Jundi, Darwish, The Phenomenon of Earning and Its Impact on Arabic Poetry and Its Criticism, publisher: Dar Al-Nahda, Egypt for Printing and Publishing, Al-Resala Press, 1969 AD.
9. Haqqa, Ahmed Abu, The Art of Praise and Its Development in Arabic Poetry, Dar Al-Sharq Al-Jadeed Publications, Beirut.

10. Al-Hawi, Elijah, The Art of Description and its Development in Arabic Poetry, Dar Al-Kutab Al-Lubani, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1980 AD.
11. Al-Hamwi, by Shihab al-Din bin Yaqut (d. 626 AH), Dictionary of Writers, ed.: Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st edition, 1993 AD.
12. Khalkan, Ahmed bin Muhammad (d. 681 AH), Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, ed.: Ihsan Abbas, Dar Sader - Beirut, 1977 AD.
13. Dowidi, Dr. Raja Wahid, The Environment, Its Contemporary Scientific Concept, and Its Traditional Intellectual Depth, Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, 1st edition, 2004 AD.
14. Al-Din, Dr. Mohsen Jamal, Celebrations of the Prophet's Birthday, Baghdad, 1st edition, 1967 AD.
15. Diwan al-Nabigha al-Dhubyani, ed.: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'aref, D. I., D. T.
16. Zakaria, Ahmed bin Faris, Dictionary of Language Standards, ed.: Abdel Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1979 AD.
17. Al-Zubaidi, Mr. Muhammad Mortada Al-Husseini, The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary, edited by: Abdel Sattar Ahmed Farrag, Arab Heritage Revival House, Cairo, 1965 AD.
18. Al-Samarrai, Dr. Yunus, Research in Arabic Poetry, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Baghdad, House of Wisdom, 1987 AD.

19. Al-Saeed, Dr. Muhammad Majeed, Poetry in the Era of the Almoravids and Almohads, Publications of the Ministry of Culture and Information, Republic of Iraq, 1980 AD.
20. Salama, Dr. Ibrahim, Aristotle's Rhetoric between the Arabs and the Greeks, Anglo Library, Egyptian, Cairo, 2nd edition, 1952 AD.
21. Al-Sudani, Mazhar Abd, Iraqi Poetry in the Sixth Century AH, Ministry of Culture and Information, Al-Rashid Publishing House, 1980 AD.
22. Al-Shakaa, Dr. Mustafa, Poetry and Poets in the Abbasid Era, Dar Al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 2nd edition, 1975 AD.
23. Al-Safadi, Saladin Khalil bin Aybak Al-Safadi (d. 674 AH), Al-Wafi bil-Wafiyat, sponsored by: Ritter, State Press of the German Orientalist Association, Istanbul, 1931 AD.
24. Dhaif, Dr. Shawqi, History of Arabic Literature (The First Abbasid Era), Dar Al-Maaref, Egypt, 6th edition, D.T.
25. Al-Ani, Sami Makki, Studies in Andalusian Literature, Al-Mustansiriya University Press, 1978 AD.
26. Abboud, Jassim Mohsen, National Aspiration according to Al-Mutanabbi, Ministry of Information, 1977 AD.
27. Al-Farabi, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawahiri (d. 393 AH), Al-Sihah Taj Al-Lughah and Sihah Al-Arabiya, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Alamein, Beirut, 4th edition, 1987 AD.

28. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (d. 170 AH), Kitab Al-Ain, ed.: Mahdi Al-Makhzoumi, Ibrahim Al-Samarrai, publisher, Al-Hilal House and Library.
29. Al-Qartajni, Abu Al-Hasan Hazim (d. 684 AH), Minhaj Al-Balagha and Siraj Al-Adabaa, ed.: Muhammad Al-Habib bin Al-Khoja, Arab House of Books, 3rd edition, 2008 AD.
30. Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq, Al-Umdah fi Mahasin Al-Poetry, its Etiquette and its Criticism, ed.: Muhammad Mohi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jabal, 5th edition, 1981 AD.
31. Mubarak, Dr. Zaki, Prophetic Praises in Arabic Literature, Arab Book Press, Cairo, 1967 AD.
32. Wanted, Dr. Ahmed, Dictionary of Ancient Arabic Criticism, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 1989 AD.
33. Mustafa, Ibrahim, Ahmed Al-Zayat, Hamed Abdel Qader, and Muhammad Al-Najjar, Mu'jam Al-Waseet, Dar Al-Da'wa, Egypt, d. T.
34. Yacoub, Dr. Emile Badie, and Dr. Michel Assi, The Detailed Dictionary of Language and Literature, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1989.